



## المبحث الثاني اليوم الآخر في الفكر غير الإسلامي

تذكر في هذا المبحث نبذة تاريخية عن فكرة اليوم الآخر، منذ أقدم الأزمنة إلى وقتنا الحاضر، في أشهر الحضارات والديانات العالمية.

### ١ - في حضارة وادي الرافدين:

فكرة القيامة وبعث الأموات:

لم يوجد دليل من النصوص المسمارية يثبت أن العراقيين القدماء يعتقدون بقيامتهم وبعثهم من الموت، وليس هناك ما يثبت إمكانية عودة روح الميت (الاطمو) إلى جسده<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى نجده واضحاً على لسان (كلكامش) حين يندب صديقه (أنكيدو) فيقول:

(آه لقد غدا صاحبي الذي أحببت تراباً، وأنا سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين)<sup>(٢)</sup>.

أما حين نتحدث النصوص المسمارية القديمة عن عودتها إلى عالم الأحياء، فإنها تقصد عودتها بهيئة أشباح مستقلة عن الجسد<sup>(٣)</sup>.

(١) عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين ص ١١٣ وانظر مقدمة في تاريخ الحضارات

القديمة: طه باقر ج ١ ص ٢٣١. والأديان ٥. رشدي عليان وسعدون الساموك ٧٠ - ٧١.

(٢) عقائد ما بعد الموت ص ١١٥ - ١١٦.

(٣) المصدر السابق ص ١١٣.

## فكرة الحساب :

ذهب الأستاذ هايدل وكريمير وبعض الباحثين إلى أن هناك إشارات واضحة في النصوص المسمارية القديمة تدل على اعتقادهم بفكرة الحساب في عقائد ما بعد الموت في العراق القديم<sup>(١)</sup>، كما يعتقد المصريون القدماء .

لكن بعد النظر في ما أوردوه من إشارات في النصوص المسمارية، رجح الباحثون انتفاء اعتقادهم بوجود حساب للموتى في عالم الأموات، وبالتالي انتفاء وجود عقاب أو ثواب في ذلك العالم<sup>(٢)</sup> .

وكان سكان وادي الرافدين القدماء يعتقدون أن الخطيئة قديمة بقدم الإنسان، يتعرض لارتكابها دائماً بقصد أو بدون قصد منه .

وارتكاب أي خطيئة ينجم عنه أضرار جسيمة<sup>(٣)</sup> تتجلى في أمرين :

١ - تخلي الآلهة عنه، فيقع عندئذ فريسة للمصائب والكوارث والأمراض وتلاشي السكينة والهناء<sup>(٤)</sup> . يصف الملك آشور بانيبال الأحوال المتردية في دولته، أنها عقاب تقرر عليه، فيقول :

(لماذا يحيط بي المرض وعذاب القلب والشقاء والألم؟ في البلاد تنتشر الاضطرابات، وفي البيت تحاك الدسائس، إنها تلازمي باستمرار، الكوارث والكلمات الشريرة تتجمع ضدي، لقد حنا مرض القلب ومرض الجسد قامتي . . أبح الموت نهايتي، إنني أتعذب بالقلق والحزن، فأقضي النهار والليل، نذبت : أيها الإله سلط هذه على الذي لا يخاف الآلهة، ودعني أرى نورك أيها الإله، لم قررت كل هذا عليّ؟ إنني أتعذب كمن لا يخاف الآلهة)<sup>(٥)</sup> .

٢ - تقصير أجل الحياة، وإحلال الموت بالذنب، عقاباً له على ما ارتكبه من خطيئة .

يدل على ذلك ما ورد من نصوص مسمارية مثل :

(إذا قال شخص ما في المستقبل بأن الحقل لم يوهب، فعسى الآلهة : أنو،

(١) المصدر السابق ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) انظر الحجج ومناقشتها في عقائد ما بعد الموت ص ١٣٠ .

(٣) عقائد ما بعد الموت ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٤) المصدر السابق ص ١٣٥ .

(٥) المصدر السابق ص ١٣٨ .

وأليل، وأيا، ونا، وشمس، ومردوخ، ونسكو، وسدرننا، ونركال، ولازر، أن يستأصلوه من أساسه، ويمحوا ذريته، عساهم أن ينهوا أمره، وأن يقرروا بأن لا يبقى حياً يوماً واحداً).

وورد معنى هاتين العقوبتين فيما سطره حمورابي في آخر شريعته، من الدعوات على كل من يتجاهل أحكام شريعته، أو يمحو القوانين المشرعة فيها، أو يمحو اسم حمورابي ليكتب اسمه بدلاً عنه، أو يأمر شخصاً آخر للقيام بذلك<sup>(١)</sup>.

وعلى عكس ما تقدم، فإن الثواب وهو: صفاء العيش وطول العمر يلحق من يفعل الفضيلة والحسنات، والأعمال الورعة، كالخوف من الآلهة، وتقديم القوانين، وبناء المعابد، وصنع التماثيل للآلهة، يتجلى هذا في نص مسماري:

(إن الخوف من الآلهة مدعاة للعطف، وإن القرابين تطيل العمر، إن من يخاف الآلهة يطيل الإله (الأثوناكي) عمره).

ويقول سرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ ق.م):

(لحفظ راحتي، وإطالة أيامي، واستقرار حكمي، أركع على الدوام بنفسي في العبادة)<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا:

فإن عالم الأحياء في نظرهم هو دار الثواب والعقاب، وليس عالم الأموات. يدل على ذلك أن عقيدة العقاب والثواب بعد الموت، تمثل الوازع النفسي في تصرفات المرء، وفي لحظات اختياره ما بين ما يريد أن يفعله، وبين ما يجب أن يمتنع عنه. وعقيدة سكان وادي الرافدين هذه قد جعلتهم عزلاً من أي ضمان، بانهمزام الشر، وإنصاف المظلومين، وثواب الخيرين، في الحياة الأخرى في العالم الأسفل، لذلك حمل الحياة في ظل حضارة وادي الرافدين بكل أدوارها شحنات من القلق والتوتر والتساؤلات البائسة، إضافة إلى نوع من الشعور بالإحباط<sup>(٣)</sup>. والنصوص المسمارية توضح هذا الجانب بشكل جلي.

(١) المصدر السابق ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٣) المصدر السابق ص ١٤٤ - ١٤٦.

## ٢ - عند المصريين القدماء:

يعتقد المصريون القدماء سنة ٢٦٠٠ ق.م أو قبل ذلك، بحياة أخرى بعد الموت، يلقي الفرد جزاءه على ما فعل من خير أو شر، وهذه العقيدة لم تكن قاصرة على طبقة الكهنة، بل تعدتهم إلى الأوساط الشعبية.

يقول المرحوم عبدالقادر حمزة باشا في كتابه (على هامش التاريخ المصري القديم) عن هذه الفترة.

(وفي هذا الوقت كانت عبادة (أوزيريس) قد أخذت تنتشر وتصير عبادة شعبية... وعبادة أوزيريس أساسها الأول أن كل إنسان - ملكاً كان أو فرداً عادياً - مسؤول بعد الموت عن أعماله في الدنيا، أمام محكمة إلهية يتولى القضاء فيها أوزيريس نفسه، ويساعده فيها توت وهو إله الحكمة والعلم، وأنوبيس وهو مدير دفن الأموات ودليلهم في الدار الآخرة، وهوريس وهو ابن أوزيريس وإيزيس، ومعات وهي الهة الحقيقة والعدل، وإثنان وأربعون قاضياً.

فإذا حكمت المحكمة بأن حسنات الميت ترجح سيئاته، كوفىء بالنعيم الخالد، وصار مثل أوزيريس. أما إذا حكمت المحكمة بأنه أساء في حياته فجزاؤه أن يفترسه الوحش، أو أن يلقي في النار، أو أن يضرب عليه نوع آخر من أنواع العذاب<sup>(١)</sup>.

ثم يتحدث عن هذا الحساب في كتاب (الموتى)<sup>(٢)</sup>، الذي وجد في أيام الدولة الوسطى، ملخصاً هذه العقيدة قائلاً:

كانوا يجسمون هذه المحاسبة، فيضعون لها في كتاب الموتى، وعلى التوابيت رسم محكمة ومحكمة وميزان. وفي هذه المحكمة يجلس أوزيريس على عرشه، حاملاً عصاه وكرابجه، ومعه إثنان وأربعون قاضياً من الآلهة - ويلاحظ هنا أن مصر كانت مقسمة إلى إثنتين وأربعين إقليماً، فكان كلاً من القضاة يمثل إقليماً من هذه الأقاليم - فإذا جيء بالميت تسلمه أنوبيس، وأخذ قلبه، فوضعه في إحدى كفتي

(١) لكن ورد في الدين المقارن لمحمود أبي الفيض المنوفي ص ٧١: إن المصريين يعتقدون أن حسناته إذا ترجحت، دخل السعادة الأبدية. أما إذا ترجحت السيئات رده إلى الأرض، ليكفّر بواسطة أدوار التتمص من حيوان إلى حيوان عن الذنوب التي ارتكبها، عندما وصل إلى أعلى درجة من المخلوقات. وهي درجة الإنسان.

وعقيدة التناسخ هذه أخذها المصريون عن الهنود.

(٢) كتاب (الموتى) له شأن كبير، إذ زعموا أن أحد الآلهة قد كتبه بيده، فكانوا يتعبدون به في الحياة، ويوضع معهم في القبور/ الأديان للدكتور رشدي عليان وسعدون الساموك ص ٦٠.



ميزان، ووضع في الكفة الأخرى تمثال الآلهة معات أو ريشتها، ثم وقف الإله توت بجانب الميزان، وفي يده اليمنى قلم، وفي يده اليسرى سجل يدون فيه نتيجة الميزان، ثم يرفعها إلى أوزيريس، ويقف بالقرب من توت الوحش (أمابيت) - وهو وحش له رأس تمساح وجسم أسد - متأهباً لأن يلتهم الميت الذي يصدر الحكم بالتهامه، وفي بعض الرسوم تضاف نيران إلى المحكمة في مكان خاص منها، ليلقى فيها المذنبون، والقلب في الميزان يمثل أعمال الميت في حياته، وهو الذي يشهد بكل ما فعله صاحبه من خير أو شر.

ثم ثبت نص قصة مصرية قديمة، عثر عليها المصور لوجي جريفت في ورقة بردي، وهي في المتحف البريطاني، تصف رحلة، قام بها فتى، اسمه (سينوزيريس) مع أبيه (ساتني)، ليطلعه على طريقة الحساب والثواب والعقاب في العالم الآخر. وهي تدل على أن الحساب لا علاقة له بالغنى والفقر، ويصف فيها نزولهم إلى دار محاسبة الأموات، فيدخلان سبع قاعات واسعة، مملوءة بالناس من جميع الطبقات، فشاهدا ناساً تأكل الحمير من خلفهم، وأناساً يثبون إلى طعام معلق فوق رؤوسهم فلا يدركونه، بينما الحفارون يحفرون تحت أقدامهم، ليزدادوا بعداً عن الطعام المعلق.

وشاهدا رجلاً منظرهاً تحت الباب على ظهره، ومحور هذا الباب تركز في عينه اليمنى، يدور عليها كلما فتح أو أقفل، وهو لا ينفك يفتح ويقفل، والرجل يصيح من الألم.

ثم وجدا أرواحاً من الأبرار، لكل منها مكان تقيم فيه، وجاء تصوير الخير والشر، الذي يترتب الجزاء عليهما على لسان أحد الموتى، في خطاب وجهه إلى أوزيريس، للدفاع في النص الموجود في كتاب الموتى، يقول:

(لقد جئت إليك أجلب الحقيقة، وأطرد الخطيئة، إنني لم أقارف الشر، ولم أعتد، ولم أسرق، ولم أقتل غدرًا، ولم أمس القوابين، ولم أكذب، ولم أسبل دموع أحد، ولم أتدنس، ولم أذبح الحيوانات المقدسة، ولم أتلف أرضاً مزروعة، ولم أقذف، ولم أترك الغضب يُخرجني إلى غير الحق، ولم أزن، ولم أرفض أن أسمع كلمة العدل، ولم أسيء الظن بالملك ولا بأبي، ولم ألوث الماء، ولم أحمل سيلاً على أن يسيء إلى عبده، ولم أحلف كاذباً، ولم أغش في الميزان، ولم أمنع اللبن عن أفواه الرضع، ولم أصد طيور الآلهة، ولم أرد ماء إلا حين الحاجة إليه، ولم أسد قناة ري على غيري، ولم أطفئ ناراً يجب أن تشعل، ولم يخطر على بالي أن استخف بالآلهة.. إنني طاهر طاهر).

أما تصورهم للعقاب فقد مرّ طرف منه.